

أحمد علي أديباً وصاحب تراث أدبي

غادرنا الرفيق أحمد علي قبل أن يستكمل مشروعه الثقافي الذي كان قد بدأه مبكراً. لكن ما خلفه لنا من كتب تشكل بذاتها غنى للمكتبة العربية. وأذكر من بين ما خلفه لنا من تلك الكتب: "ثورة الزنج" و"ابن المقفع" و"طه حسين" و"رئيف خوري". وهذا الكتاب الأخير هو آخر ما تركه لنا في الذكرى المئوية لرئيف. وهو كتاب يضم بين دفتيه نصوصاً مختارة لرئيف خوري في الفكر وفي الأدب، وقراءات من قبل أحمد لجوانب مهمة من فكر وأدب رئيف. إلا أن أحمد كان في الأعوام الأخيرة من حياته مشغولاً بإنجاز كتابه عن حسين مروة. وهو يضم في دفتيه، كما روى لي أحمد، نصاً كبيراً لحوار أجراه معه حول سيرته في مراحلها المختلفة، وقراءات لم يستكملها لجوانب من أدب وفكر حسين مروة. وتؤكد هذه الكتب التي أشير إليها أن أحمد علي كان في اهتماماته وهمومه الثقافية يحاول أن يقدم للقارئ العربي معرفة ببعض ما يختزنه تاريخنا من كنوز في الفكر والأدب وفي التراث العربي القديم. وهو ما قدم أحمد منه نموذجين تاريخيين بالغي الدلالة.

تعرفت إلى أحمد علي في مطالع خمسينات القرن الماضي. وكنا كلانا قد أصبحنا عضوين في الحزب الشيوعي، كل منا في الموقع الذي اختاره لنفسه أو اختير له. لكن ما جمعنا منذ البداية، إلى جانب انتمائنا السياسي للشيوعية، اهتمامنا بالأدب كل منا على طريقته. وكان أحمد قد اختار منذ المرحلة الثانوية من دراسته الأدب مادة اهتمام وميدان اختصاص. وكان محفزه لذلك الإهتمام أستاذه رئيف خوري. وكنت أنا قد اخترت في السنة الجامعية الأولى والأخيرة في حياتي مادة الأدب العربي كإختصاص وكهواية قديمة عندي. وكان رفيقنا في اللقاء الأول الذي جمعنا في مكاتب مجلة "الثقافة الوطنية" رفيق عمري محمد دكروب الذي ك ان مكلفاً بمهمة سكرتير تحرير المجلة. وكان رفيقنا الثاني في ذلك اللقاء خليل الدبس الذي كان يتابع دراسته في مدرسة اللاييك مع أحمد علي. لكن من المفارقة العجيبة في ذلك التاريخ أن خليل الدبس الشيوعي كان باسم شيوعيته مختلفاً مع رئيف خوري إلى حد العداة. وكان في ذلك الموقف في موقع النقيض لأحمد علي الذي كان معجباً برئيف ومتأثراً به.

كثرت لقاءاتي مع أحمد على امتداد تلك الأعوام في مناسبات ثقافية وفي مناسبات سياسية. لكن اللقاءات الثقافية كانت هي الأكثر والأهم مقارنة بالمناسبات السياسية. وكان المجلس الثقافي

للبنان الجنوبي المكان الذي كثرت فيه لقاءاتنا في المناسبات الثقافية التي كان شريكنا الدائم فيها حبيب صادق الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي.

لكن من أغنى اللقاءات الأخيرة التي جمعتنا الاحتفالات التي أقيمت تكريماً لرئيس خوري بمناسبة مؤبته. قدم كل منا من موقعه أحمد وأنا إلى جانب العديد من المتقنين إسهاماته في استحضار رئيس خوري مفكراً وأديباً وصاحب تراث غني في الثقافة العربية.

في وداع أحمد قلت لشقيقه صديقي ورفيقي عاطف ولابنه صديقي وضاح بأن عليهما مهمات تتعلق بسيرة أحمد الثقافية وبتراثه، في مقدمتها إصدار الكتاب الذي أشرت إليه حول حسين مروة الذي لم يتمكن أحمد من استكمالها. وقلت لهما بأنني عندما يصدر هذا الكتاب سأعود إلى أحمد لكي أقدم قراءتي لتراثه الثقافي المتمثل بالكتب الخمسة الأنف ذكرها ومن ضمنها كتابه عن حسين مروة. وهكذا أكون وفيّاً لهذا الرفيق والصديق الذي غادرنا قبل الأوان.